السياسية الاستعمارية الفرنسية تجاه التعليم في الجزائر نهاية القرن 19 وبداية القرن 20.

✍/- ناصري سمير/جامعة فرحات عباس
لهلالي سلوى/ جامعة فرحات عبا

مقدمة:

لعبت مؤسسات التعليم في الجزائر دورا فعالا في تاريخها الطويل خاصة في العهد العثماني تحديدا التعليم الذي كان يلقن في المساجد والكتاتيب والزوايا وكانت له حواضر كبرى معروفة كمنارات علمية على غرار تلمسان وقسنطينة والعاصمة، وعليه فقد كان معظم الجزائريين يعرفون القراءة والكتابة وعلى اطلاع واسع بأمور الدين والعلم، ورغم عدم اهتمام النظام العثماني بالتعليم لكن كانت هناك مبادرات فردية في معظمها أو جماعية لتلقين الأهالي مختلف العلوم وتعليمهم اللغة العربية، ولم تكن المساجد والزوايا فقط أماكن للتعبد وتلقين أمور الدين الإسلامي بل كان لها دور تعليمي فعال في حياة الجزائريين خاصة أنها تتناسب ووضعيتهم المادية والعقلية الثقافية وحتى الروحية هذا بالإضافة إلى التأثيرات المشرقية في الحياة الثقافية داخل الجزائر.

لكن بعد حدوث الاحتلال الفرنسي للجزائر زالت هذه الصورة حيث تنبهت إدارة الاحتلال إلى أهمية التعليم وقيمته في المجتمع الجزائري فحاولت إخراج الجزائريين من الحياة والبحث عن إطار معين خاص بهم، ولا ننسى بأن مسألة التعليم كانت ضمن المشروع الثقافي الاستعماري القاضي بنشر الثقافة الفرنسية في الجزائر، لذلك عمدت الإدارة الفرنسية إلى تدمير أهم مقوم من مقومات المجتمع وهو التعليم وذلك بإخضاع كل المؤسسات التعليمية بجميع أشكالها إلى المراقبة الفرنسية بل وتوجيه التعليم بها حسبما يتوافق والمشاريع الفرنسية .

وذلك بتهديم المدارس والمساجد وتحويلها إلى أغراض استعمارية متعددة، كالثكنات والكنائس ومرابط الخيل واستعمال القوة العسكرية وحتى عمليات التنصير والتبشير لدعم مشروع محو التعليم ونشر الجهل والأمية وهو المطلوب بالنسبة للإدارة الفرنسية وبهذه الطريقة بدأت ملامح الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر تتفكك فأهمل العلماء والفقهاء وانطفأت معظم مشاعل العلم في الجزائر لأن المشروع الثقافي يهدف إلى محو الشخصية الوطنية بالقضاء على التعليم – اللغة العربية خاصة- بمختلف الوسائل ثم نشر التعليم الفرنسي كبديل حضاري عصري وجديد أمام الأهالي ومن ثمّ خلق نخبة أهلية تتشبع بالثقافة الفرنسية ويأتي دورها في خدمة فرنسا وذلك بتبني المشروع الثقافي الفرنسي ونشره بين الأهالي وبالتالي ضمان نجاح المشروع الثقافي الاستعماري .

1 – موقف الإدارة الفرنسية من التعليم الأهلي :

منذ أن وطأت أقدام الفرنسيين الجزائر عكفوا على التفكير في مشروع ثقافي من شأنه أن يحول التعليم في الجزائر من تعليم تقليدي يعتمد على الكتاتيب القرآنية والزوايا إلى تعليم غربي يعتمد على المدارس الأكاديمية ذات الطرق الحديثة في التدريس، والهدف من هذا هو إخراج عقلية الأهلي الجزائري من الإطار العربي الإسلامي وإدماجها في العقلية الغربية الفرنسية، ذلك أنّ خبراء الشؤون الاستعمارية أدركوا بعد دراسات معمقة للمجتمع الجزائري أنه لا يمكن خلق جزائر فرنسية إلا بعد القضاء على كل المؤسسات التعليمية الأهلية بجميع أشكالها وتبدأ الخطوة الأولى بمحاربة الثقافة الوطنية كمرحلة أولى ونشر التعليم الفرنسي، و مراقبة مؤسسات التعليم من مدارس ومساجد وزوايا ومحاولة توجيهها لخدمة أغراض المستعمر، لكن الهدف الأسمى المسطر كان تكوين نخبة جزائرية ذات ثقافة فرنسية بحته منفصلة عن أصلها الأهلي بمعنى خلق أنتلجنسيا جزائرية وهو ما من شأنه أن يسهل أمر إدماج الجزائر ثقافيا وبالتالي القضاء السريع على المؤسسات

التعليمية الأهلية رغم الإمكانيات البسيطة التي وفرتها الإدارة الفرنسية لتوفير العدد الكافي من المدارس الفرنسية لأبناء الأهلي[1] .

هذا وقد عبّر مفكري الاستعمار الفرنسي عن هدف فرنسا منذ نزولها بالجزائر بأنها تهدف إلى [2] :<< سحق الهوية القومية للشعب وإلغاء عروبتهم لإنهاء رمز مغايرتهم للفرنسيين، والفرنسيين أرادوا من الجزائريين أن يكونوا فرنسيين حتى يكون وطنهم الممتد إلى المتوسط>>، كما ركزت على مسح الإسلام لأنه مفتاح الطابع القومي في الجزائر، وقد أكد الكاتب الصهيوني ماكس نوردو[3] :<< إن شمال إفريقيا سيكون مهجرا ومستوطنا للشعوب الأوروبية ... وأما سكانه الأصليون فسيدفعون نحو الجنوب إلى الصحراء الكبرى إلى أن يفنوا هناك وحتى يتحقق هذا الاستعمار الاستيطاني للمستعمرين الفرنسيين بالجزائر العربية كان السعي الحثيث والعنيف لسحق قومية الجزائريين العربية ونزع هويتهم المميزة وهي العروبة والإسلام طالما كان هذا الإسلام محافظا على عروبتهم ومغايرتهم للفرنسيين ...>>.

فسعوا إلى فرنسة الجزائر لغويا بإحلال الفرنسية محل العربية وقد جاء في أحد تقارير سنة 1847 : إن الجزائر لن تصبح فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا الفرنسية لغة قومية فيها والعمل الجبار الذي يحتم علينا انجازه هو السعي وراء جعل الفرنسية اللغة الدارجة بين الأهالي إلى أن تقوم مقام العربية وهذا هو السبيل لاستمالتهم إلينا وتمثيلهم بنا وإدماجهم فينا وجعلهم فرنسيين >>.

أساء الاحتلال كثيرا للثقافة الجزائرية << فالمواسم الوطنية كالتاريخ واللغة، إما اختفت وإما اضطهدت وكانت المساجد قد حولت إلى كنائس أو مستشفيات أو متاحف، كما أن المثقفين الجزائريين قد فقدوا الاتصال تدريجيا بماضيهم نتيجة لفقدان الكتب والمدارس بلغتهم أما الفلاحون فقد تركوا للخرافات والجهل وقد كانت اللغة أكثر النظم الوطنية الجزائرية معاناة

وبالتالي فإن التربية عموما قد إنضرّت >>[3]، فاللغة العربية والثقافة القومية حاصرها الاحتلال الفرنسي ومنعها من حرية التعبير ومسايرة التطور العلمي ولو في أبسط صوره ونجم عن ذلك أضرار فادحة في الميدان الثقافي كنتيجة لسياسة التجهيل وإبعاد اللغة العربية عن منافسة اللغة الفرنسية وتركها تدرس كثقافة تراثية مقتصرة على المبادئ الأساسية وتعليمها في الكتاتيب والزوايا [4] ، وقد استمر الاستعمار الفرنسي حتى بداية القرن 20 في شل الحياة الفكرية ونشر الأمية في أوساط الجزائريين وذلك عن طريق إغلاق المدارس ومحاربة التعليم باللغة العربية وكذلك الإسلام فشعار الاستعمار التفقير والتجهيل والقضاء على خصائص هويته الوطنية والحضارية [5].

وبما أن اللغة العربية هي أساس الثقافة العربية فقد سعى الاستعمار إلى القضاء عليها لأن دفنها يعني القضاء على الثقافة العربية الإسلامية والشخصية الجزائرية آنذاك، فعمل على تركيز اللغة الفرنسية وجعلها لغة العمل الرسمي ماعدا محاكم الأحوال الشخصية الإسلامية حيث استمر العمل باللغة العربية وأيضا في إدارة مناطق الجنوب الصحراوي النادرة السكان [6]،

ففي عام 1904 أصدرت الإدارة الاستعمارية قرارا بمنع التعليم بدون رخصة وتبدو أن غريزة الدفاع عن النفس أصبحت أقوى عند الجزائريين فقد استمروا في تعليم القرآن بواسطة اللوحة والمداد [7].

وذلك لأن الإدارة الفرنسية كانت بحاجة إلى بعض المتعلمين الذين تستميلهم لخدمة مصالحها لأن تدهور كنظام التعليم التقليدي طرح مشكل نقص المثقفين والقضاة لأن الأعوان الأوربيين لم يكن بمقدورهم شغل كل المصالح التقنية لعدم معرفتهم باللغة العربية وبالتالي الاهتمام بهذا التعليم وفق المصالح الفرنسية، ولم يكن ممكننا نسب الأعمال وظائف الدين والقضاء الإسلامي لغير المسلمين [8].

لقد كان للمؤسسات التعليمية التي مثلتها المؤسسات الدينية والزوايا التي كانت تمنح شباب القرى أو الأرياف تكوينا دينيا أساسيا له التأثير المباشر على البيئة الاجتماعية الثقافية للمجتمع الجزائري وذلك من خلال تعليم الفقه المالكي ومختصر سيدي خليل الذي يعتبر كقانون أساسي يطبقه الجزائريون المسلمون في حياتهم الشخصية والاجتماعية عامة، والملاحظ أن الزوايا عملت على الحفاظ على نمط التعليم الأهلي وعلى الثقافة العربية لكن تقليديتها في التعليم منعها من مسايرة العصرنة في التعليم [9].

خاصة وأنّ نفوذها بدأ في الاضمحلال من المدن لأن الاحتلال الفرنسي أصبح يشرف على المساجد ويعين أئمتها وعمالها ويراقبهم بصفة دورية وذلك لأن إدارة الاستعمار أدركت أهمية الدين الإسلامي في حياة الأهلي الجزائري وفي نفسيته وعليه فقد أهمل الاحتلال الفرنسي التعليم العربي الحر واكتفى باستخدامه كوسيلة للترجمة [10]، ومن جهة أخرى عمل الاستعمار منذ دخوله إلى الجزائر على إلغاء كل ما هو جزائري وذلك بأحداث صراع عنيف ضدّ الشخصية الجزائرية ومحاولة تحطيم قيمها الثقافية والحضارية وقد استمر الاستعمار في بداية القرن 20 في شل الحركة الفكرية ونشر الأمية في أوساط الجزائريين وذلك عن طريق إغلاق المدارس ومحاربة التعليم بالعربية ومحاربة الدين الإسلامي والقضاء على الهوية الشخصية والحضارية [11] .

عارض الفرنسيون تعليم الجزائريين ويتضح ذلك من خلال مطالبة الكولون بضرورة اقتصار التعليم على التعليم الابتدائي، وكان الهدف من هذه السياسة تكوين عامل جزائري – فلاح- يخدم قطاع الزراعة فقط، ويؤكد هذا الطرح شارل روبير آجيرون عندما ينقل لنا كلام الحاكم العام ليبين بأن هدف المدارس الفرنسية الأهلية هي تعليم من أجل التطبيق بحيث أن:<< المعلم يعلم التلاميذ ليعملوا >> [12].

وبالعودة إلى التعليم الابتدائي نجد أن الأطفال الفرنسيين البالغين سن التمدرس كانوا يقبلون في المدارس الفرنسية التي تطبق التعليم المماثل لنضيره في فرنسا، غير أن الجزائريين لا ينالون نفس الحضوة فحسب ماورد للدكتور العربي الزبيري فإن نسبة التحاق الأطفال الجزائريين بالتعليم الابتدائي كان بنسبة 7 بالمائة فقط هذا حتى سنة 1954 [13] .

هذا وقد نظمت الإدارة الاستعمارية نوعين من التعليم الأول راق جدا من الدرجة الأولى وهو مخصص لأبناء المستوطنين الأوربيين والثاني ضعيف ومن الدرجة الثانية مخصص لأبناء الأهالي الجزائريين تحت اسم التعليم الأهلي الذي كان يدرس في مدارس متواضعة مع معلمين ذو كفاءة ضعيفة وهو العامل الذي ساهم في رسوب معظم التلاميذ في الشهادة الابتدائية أو امتحان الدخول إلى المرحلة الثانوية [14].

ومن جهة أخرى كانت توالت حملات الغزو الثقافي منذ نزول الجماعات الأولى من المعمرين إلى الجزائر والذي تزامن مع عملية تهديم المساجد والزوايا ذات الدور التعليمي [15].

وفي احصائيات نشرت بينت العدد الضئيل من التلاميذ المسلمين الذين واصلوا تعليمهم في المدارس والجامعات الفرنسية بحيث نجد أن عدد الطلبة الجزائريين قد ارتفع من 6 طلبة سنة 1884 إلى 61 طالب مع بدايات سنة 1916 في حين كان عدد الأطفال الجزائريين في المدارس الابتدائية الاستعمارية قد ارتفع من 1150 تلميذ سنة 1880 إلى 47200 تلميذ سنة 1914[16].

لقد خططت المدرسة الفرنسية لنزع ضمير الجزائريين هذه الفكرة التي أكدها أحد الباحثين والذي يرى بأن الجزائريين كانوا يرون في المدارس الفرنسية كمسجد للعصر الجديد اطلعوا من خلالها على المعارف الخارجية وأصبحوا ذوي فاعلية في الحياة الثقافية والسياسية في الجزائر [17] لقد وعى الاستعمار بقيمة الثقافة وقدرتها على التأثير على تفكير الأهالي الجزائريين

والذي تخوف من التأثير الإيجابي لها نحو التحرر والإنعتاق لذلك عمل على توجيهه وفق مصالحه .

2 – السياسية التعليمية الفرنسية في الجزائر:

حاولت فرنسا منذ دخولها إلى الجزائر تحقيق مشروع ثقافي يهدف إلى جعل الجزائر فرنسية حضاريا وهدم مقوماتها الأساسية المتمثلة في اللغة العربية والدين الإسلامي والقضاء على كل ما من شأنه أن يحافظ على هذه المقومات، ودعمها لهذا المشروع قامت الإدارة الاستعمارية بمواصلة جهودها لتحقيق المشروع قامت الإدارة الاستعمارية بمواصلة جهودها لتحقيق المشروع القاضي بتعميم التعليم الفرنسي في الجزائر وحتى تتمكن السلطة الاستعمارية من إبعاد الجزائريين عن اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي وبالتالي هجرهم للمؤسسات التعليمية الأهلية قامت بإنشاء المدارس الحكومية الفرنسية [18] والتي تعود تاريخيا إلى سنة 1833م عندما شرعت في وضع النواة الأولى لهذه المدارس بالعاصمة وكان هدفها تدريس مبادئ اللغة الفرنسية والكتابة وفي سنة 1836 أنشأت مدرستين في العاصمة وعنابة وفي سنة 1848 بنت 3 مدارس تتسع ل 1629 تلميذا من الأهالي، كما افتتحت الإدارة الفرنسية المدارس العربية الفرنسية في قسنطينة والعاصمة ووهران وعنابة ومستغانم [19].

وكان عدد هذه المدارس حوالي 40 مدرسة لكن انجازها لم يتعدى 24 مدرسة أي بمعدل مدرستين في السنة وهذا يدل على عدم استعداد الإدارة الفرنسية لنشر التعليم وسط الأهالي [20] وفي سنة 1858 أنشأت أول ثانوية في الجزائر العاصمة من طرف المارشال فايون وأطلق على هذه الثانوية اسم المعهد العربي الفرنسي التي استقبلت في أول الأمر 150 طالب من أبناء العائلات الأرستقراطية أو التي أظهرت ولاءها للإدارة الفرنسية أو أبناء الأعيان وأبناء العائلات العاملين في الإدارة وسكك الحديد، كما قامت بإنشاء

مجموعة من المعاهد مابين سنوات 1856 إلى 1867 في كل من وهران وقسنطينة [21].

ومن جهة أخرى عرف المشروع الثقافي الفرنسي تأسيس مدارس دينية مسيحية منذ 1878 وتسير من طرف رجال دين (الآباء البيض) وقد سجل بها 21 مدرسة يدرس فيها أكثر 1039 تلميذا، كما انتشرت في البيض وأولاد سيدي الشيخ وورقلة وكان هدفها تمسيح الجزائريين وإخراجهم من هويتهم الإسلامية وقد لاقت هذه المدارس دعما كبيرا من الإدارة الفرنسية [22]، وكان أكبر انتشار لهذه المدارس منطقة القبائل الكبرى التي عرفت اهتمام الإدارة الفرنسية واعتبرتها التربة الخصبة لنشر اللغة الفرنسية نظرا لاستعدادهم لتقبل الحضارة الفرنسية حسب الكتابات الفرنسية، و كانت تلك المدارس تسمى بالصهاريج ووجدت إلى جانبها مدارس الصادقة الواهدية بني ورزان وهذا شجّع الإدارة لنشر المزيد من المدارس والتي عرفت بدورها زيادة عدد التلاميذ[23]، ومنذ سبعينات القرن 19 أصبحت قضية التعليم طاغية على ساحة الأحداث بشكل كبير في الجزائر خاصة في غضون المناقشات البرلمانية التي مكنت جول فيري من إرسال لجنة تفتيش من أعضاء مجلس الشيوخ إلى الجزائر وهذه الزيارة أثمرت بإصدار مرسوم 13 فيفري 1883 الذي نصّ على إلزامية التعليم ومجانية للأهالي والأوروبيين على حد سواء لأنه أحسن طريقة لتحقيق دمج الجزائر في فرنسا وبالتالي تحقيق الأهداف السياسية للإدارة الاستعمارية، وقد خطط جول فيري لبناء أكثر 15 مدرسة بمنطقة القبائل لوحدها تكون تابعة مباشرة للوزارة الفرنسية، لكن مشروعه لم يتحقق بسبب معارضة الكولون واقتصر رد الإدارة الفرنسية على إصلاح قانون التعليم في الجزائر منذ 1884 ويعود مرد رفض مشروع جول فيري إلى كون الإلزامية في التعليم لم تفرض على الأهالي [24].

وتحدد بعض الدراسات أسباب معارضة المشروع لكون المعمرين وقفوا في وجه هذا المشروع وحاربوه بشتى الوسائل فقد كان المعلمون الفرنسيون يعينون في المناطق الشمالية فقط في حين كان عدد المعلمين الجزائريين قليلا وهذا الجدول يوضح ذلك[25] :

السنة	المعلمون الجزائريين	المعلمات الجزائريات	المجموع
1887	**150**	**6**	**186**
1891	**125**	**2**	**127**
1892	**113**	**0**	**113**
1893	**103**	**5**	**108**
1894	**132**	**6**	**138**
1895	**150**	**8**	**158**
1896	**150**	**6**	**156**

ومن جهة أخرى تحججت الإدارة الفرنسية بنقص في الميزانية العامة، ومع بداية القرن العشرين وأتباعا لسياسة ذر الرماد في العيون قامت الإدارة الفرنسية بإنشاء مجموعة من المدارس لكن راعت فيها المستوى الاجتماعي للأهالي فقد بعد عنها أبناء الفقراء وتركزت في معظمها في منطقة القبائل [26].

ورغم السياسة التعليمية التي زعمتها الإدارة الفرنسية وتطبيقا لمشروعها الحضاري وبناءها لأنواع من المدارس الفرنسية لرفع المستوى الثقافي الأهلي لكن أبناء الأهالي بقوا محرومين من التعليم. وأكثر من هذا بل هناك إجحاف في حقهم وكان الفشل دائما حليفهم، في الوقت الذي كان فيه عدد الجزائريين يناهز 8 ملايين نسمة مقابل 800 ألف أوربي فإذا ما تمعنا في الأرقام نصل إلى نتيجة منطقية وهي أن عدد التلاميذ الجزائريين يكون أضعافا مضاعفة لعدد الأوربيين لكن الإدارة الفرنسية تعمدت هذا الأسلوب، وهذين الجدولين يوضحان الفارق بين الجزائريين والأوربيين في التعليم الثانوي والجامعي من فترة 1920إلى 1938[27]، مقارنة بين الجزائريين والأوربيين في التعليم الثانوي:

السنة		الأولاد	البنات	المجموع
1920	الفرنسيون الجزائريون	4346 0405	1764 0040	6110 0445
1924	الفرنسيون الجزائريون	4860 0535	1814 0060	6674 0595
1928	الفرنسيون الجزائريون	4587 0642	1833 48	6420 0690
1934	الفرنسيون الجزائريون	7316 778	3533 0085	10849 00863
1938	الفرنسيون الجزائريون	8952 0923	4277 0068	1322 00991

السنة	الأوربيون	الجزائريون
1920	1282	47
1925	1486	66
1930	1907	39
1934	2564	103
1938	2138	094

مقارنة بين عدد الجزائريين والأوربيين في التعليم الجامعي

كان كذلك من بين أهم أهداف السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر تكوين نخبة أهلية مثقفة بالثقافة الفرنسية ونلعب دورا هاما في المشروع الفرنسي .

و يعتبر بعض المؤرخين أن الأصول المباشرة لحركة النخبة الجزائرية تعود للتركيبة الاجتماعية وتحديدا انتماء أعضائها للطبقة الوسطى أو البرجوازية الناشئة والتي تتلمذ أبناؤها في المدارس الفرنسية وتخرجوا كأطباء ومعلمين [28] ويرى الجمعي خمري أنه وتاريخيا غالبية السكان الجزائريين[29]

<< ينحدرون من عائلات جديدة احتلت مكانة مرموقة في المجتمع الجزائري (الخيم الكبرى) استخلفتها بعائلات قيادية جديدة لتلعب أكثر من دور على المستوى المحلي فهي ممثلة للمجموعة الإسلامية من جهة وسند للنظام الاستعماري من جهة >>.

لقد بينت النخبة الجزائرية احتقارها للحياة الأهلية ومالت أكثر إلى التثبيت بالثقافة الفرنسية التي يعود إليها الفضل في تكوينها سواء في المدرسة المدنية والعسكرية لهذا نلاحظ أن جل المنظرين لحركة الشبان الجزائريين هم ذوي ثقافة فرنسية، وقد عبر الشبان الجزائريون عن إعجابهم بالثقافة الفرنسية والمدرسة العسكرية على غرار فرحات عباس الذي قال [30]: << عرفت كثيرا من دعاة المدرسة الفرنسية ومبشري العلم إن حبهم لتلاميذهم المسلمين وإخلاصهم لتعليمهم لا يساويها إلا حرصهم على التقارب بين الجزائريين وفرنسا >>.

ونستنتج من كلام فرحات عباس أن جماعة النخبة كانوا يؤمنون إيمانا قاطعا بالحضارة الفرنسية وبالتعليم الفرنسي الذي لطالما مالت إليه عائلاتهم بل وطالبت به وأبدى عناصر النخبة رغبة في التعليم الفرنسي لأنهم ليسوا أقل كفاءة أو ذكاءا أو مثابرة من الفرنسيين أنفسهم وقد رأوا بأن ما قدّمته فرنسا لا يساوي القليل مقارنة برغبتهم في تطوير المجتمع الجزائري ونشر التعليم الفرنسي [31].

لقد نجحت الإدارة الفرنسية في خلق نخبة تدافع فعلا عن المشروع الفرنسي بل وتعلقت به وأصبحت همزة وصل بين الفرنسيين والجزائريين ونلاحظ هذا من خلال فيدرالية النواب الجزائريين التي تصادمت كثيرا أثناء فترة الحركة الوطنية الجزائرية مع العلماء والثوريين ذلك أنها نادت إلى إدماج الجزائر بفرنسا .

لكن من جهة أخرى ورغم التعلق الذي أبدته النخبة الجزائرية بالتعليم الفرنسي لكنها نادت إلى ضرورة إصلاح أمور الأهالي وعدم الخروج عن دائرة الانتماء الإسلامي لأنه لا يتعارض والثقافة الفرنسية ومن هذه الشخصيات محمد بن رحال الذي طالب بتوسيع التعليم وشموليته للأهالي كما كشفت النخبة عن التجاوزات الاستعمارية في مجال تعليم الأهالي ودافعوا عن المعلمين الجزائريين ضدّ العنصرية المطبّقة عليهم وازدادت مطالب الشبان في هذا الصدد بعد الحرب العالمية الأولى نظرا لما قدمه الجزائريون من تضحيات لفرنسا التي لم تعط الأهالي من التكوين سوى النزر القليل [32].

لقد كانت النخبة الأهلية تشجع التعليم الأهلي في المدارس الفرنسية وقد أسسوا جمعيات خاصة بذلك كجمعية الوحدة التي تكرم المتفوقين من الجزائريين وكانت تولي اهتماما بتعليم الذكور والإناث ونظرا للضغوطات التي مارسها الشبان الجزائريون على الإدارة الفرنسية لتعميم التعليم الفرنسي أقر جورج كليمنصو سنة 1919 إصلاحات عامة شملت ميدان التعليم وعلى أثره حصل الجزائريون في ميدان التعليم التقني والفلاحي على إصلاحات شملت زيادة الميزانية الخاصة وبالتعليم الموجب للأهالي الجزائريين وحتى زيادة في عدد التلاميذ [33]، وقد ازداد اهتمام النخبة بالتعليم في سنوات الثلاثينات .

إلى جانب النخبة ظهرت بعض الجمعيات والنوادي التي دافعت عن التعليم العربي الحر مثل الجمعية الرشيدية والتوفيقية سنة 1908 والتي كانت تنشط بالعربية والفرنسية ودعمتها صحافة أهلية- فرنسية كجريدة النصيحة وكوكب إفريقيا، كما واصلت المدارس والنوادي مهمتها في نشر التعليم في المساجد[34]، كما واصلت فيما بعد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مهمة نشر التعليم العربي الحر بإنشاء المدارس والمعاهد مواجهة بذلك الإدارة الفرنسية وسياستها التعسفية .

خاتمة:

لقد اهتم الاستعمار الفرنسي بالجانب التعليمي في الجزائر المستعمرة كونه جزء من مشروع ثقافي هدفه تحويل الجزائر إلى مقاطعة فرنسية سياسيا وحضاريا هذا الأخير الذي يكون باعتماد سياسة إدماج المجتمع الجزائري في المجتمع الفرنسي ويكون ذلك بالقضاء على التعليم الأهلي القائم على تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي والذي كان يتم في مؤسسات تعليمية بسيطة كالمساجد والزوايا والكتاتيب القرآنية، وقد اعتمدت سياسة تعسفية ضد هذه المؤسسات وحاربت نشاطها وقد سعت بكل جهد لتحطيم مقومات الشخصية الوطنية والقضاء على اللغة والدين الإسلامي وعرقلة نشاط الجمعيات والنوادي وإغلاق المساجد وتقييد الصحافة، ويظهر جليا المعارضة الشديدة التي أبداها الكولون لمنع نشر التعليم وسط الجزائريين وطالبوا بتجهيل الجزائريين رغم كل القوانين التي كانت تنص على حقه في التعليم وقد نجحت إلى حد ما في فرض الأمية وغرس جذورها في أعماق المجتمع الجزائري .

ومن جهة أخرى وتجسيدا لمشروع الإدماج سارعت الإدارة الفرنسية إلى تعويض التعليم العربي بالتعليم الفرنسي وهدفها في ذلك سد الفراغ الذي واجهته في بعض الشؤون الشخصية الأهلية، بالإضافة إلى خلق نخبة جزائرية ذات ثقافة فرنسية تتولى آليا تحقيق المشروع الثقافي الفرنسي وتساهم في عملية الإدماج بل وتتبناها ورغم معارضة النخبة لإجحاف الإدارة في شمولية التعليم الفرنسي وكتابة العرائض والشكاوي للإدارة الفرنسية، لكن الإدارة نجحت في ترسيخ الثقافة الفرنسية في قلوبهم وهذا ما أبدته فدرالية النواب المسلمين الجزائريين التي بقيت تدافع لسنوات طويلة عن التعليم الفرنسي والثقافة الفرنسية، لكن رغم المشاريع الفرنسية لقتل التعليم الأهلي ظهرت في الثلاثينات من القرن 20 جمعية العلماء المسلمين

الجزائريين التي أخذت على عاتقها مهمة محاربة المشاريع الفرنسية وإعادة التعليم العربي الحر وبناء المدارس والمعاهد داعية للحفاظ على الشخصية الوطنية وعلى العروبة والإسلام في الجزائر.

قائمة المصادر و المراجع :

* بالعربية :

1- الجمعي خمري : حركة الشبان الجزائريين والتونسيين (1900-1930) دراسة تاريخية وسياسية مقارنة أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، ج1، جامعة منتوري قسنطينة، 2002-2009، ص 72.

2- الطاهر زرهوني : التعليم في الجزائر قبل وبعد الاحتلال، موفم للنشر 1993،ص.11

3- مصطفى الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر .1983

4- أنيسة بركات: محاضرات ودراسات تاريخية وأمنية حول الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، .1995

5- رابح تركي : التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1931-1956) ط2، ش , و،ن , ت، الجزائر، 1981(الشركة الوطنية للنشر والتوزيع)

6- أحمد الخطيب : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للجزائر، .1985

7- محمد العربي الزبيري: الثورة الجزائرية في عاملها الأول، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، .1984

8- عزّ الدين معزة: فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1899-1985 مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003-2004.

9- أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر، ط2، نشر دار البليدة، الجزائر، .1963

10- فرحات عباس : حرب الجزائر وثورتها، ليل الاستعمار، تعريب أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المهدية، المغرب، د-ت .

*** بالفرنسية:**

1- Fanny Colonna : instituteurs algériens 1883-1939, office des publication universitaires, Alger,1975.

2- Ferhat Abbas : autopsie d'une guerre l'aurore ed garnier , France,1980.

3- Charles Robert Ageron : les algériens musulmans et la France , 1871-1919,T2 ,P.U.F ,Paris 1968.

4-Messaouda Yahiaoui- Merabet : société musulmane et communautés européennes dans l'Algérie du XX eme siècle, tome1,édition Homa ,Alger ;2005.

الهوامش :

(1)- الجمعي خمري: حركة الشبان الجزائريين والتونسيين(1900-1930) دراسة تاريخية وسياسية مقارنة أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ج&،جامعة منتوري قسنطينة،2002-2009، ص 72.

(2)- الطاهر زرهوني: التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، موفم للنشر 1993، ص11.

(3)- نفسه ص 12.

(4)- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، ش,و,ط , ن,ت، الجزائر 1983، ص 61.

(5)- مصطفى الأشرف : الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، م, و, ك، الجزائر 1983، ص 418.

(6)- أنيسة بركات : محاورات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص 79.

(7)- رابح تركي : التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931-1956، ط2، ش , و, ن , ت، الجزائر، ص 94.

(8)- أحمد الخطيب : جمعية المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، م, و,ك، الجزائر، 1985، ص 64.

(9)- Fanny Colonna, instituteurs algériens 1883-1939 , office des publication universitaires, Alger ,1975 , p 80.

(10)- أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص 63.

(11)- Ferhat Abbas :autopsie d'une guerre l'aurore,ed. Garnier, France , 1980, p 38.

(12)- أنيسة بركات : المرجع السابق، ص 79.

(13)- Charles Robert Ageron : les algériens musulmans et la France , 1871-1919 , t2 , p. u . f ; paris 1968 . p 1025.

(14)- محمد العربي الزبيري : الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط 1،، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ص 45.

(15)- رابح تركي : المرجع السابق، ص 161.

(16)- نفسه ص 46.

(17)- عز الدين معزة : فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1899-1985، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003-2004. ص 24.

(18)- عز الدين معزة : المرجع السابق، ص 25.

(19)-الطاهر زرهوني : المرجع السابق، ص 15.

(20)- Fanny Colonna : op-cit , p 16.

(21)- الطاهر زرهوني : المرجع السابق، ص 15.

(22)- الجمعي خمري : المرجع السابق، ص 73.

(23)- الطاهر زرهوني : المرجع السابق، ص 14.

(24)- الجمعي خمري : نفسه، ص 74.

(25)- نفسه ص 76.

(26)- الطاهر زرهوني : المرجع السابق، ص 19.

(27): الجمعي خمري : المرجع السابق، ص 76.

(28)- رابح تركي : المرجع السابق، ص 150.

(29)- Messaouda Yahiaoui-Merabet : socité musulmane et communautés europeenes dans l'Algérie du XX eme siecle , tome 1 edition homa , Alger , 2005, p 11.

(30)- الجمعي خمري : المرجع السابق، ص 59.
(31)- فرحات عباس : حرب الجزائر وثورتها – ليل الاستعمار، تعريب أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المهدية، المغرب، د- ت، ص 136.
(32)- أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص 165.
(33): الجمعي خمري : المرجع السابق، ص 184.
(34)-الطاهر زرهوني : المرجع السابق، ص 22.
(35)- أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر، ط 2، نشر دار البليدة، الجزائر، 1963، ص 344.